رحلات أنور

(٣)

فى جزيرة الأرصاد الخضراء (جرينلند) مع الدب القطبى

سأل أنور : « أين نحن » ؟

فأجاب الدب القطبى : « نحن فى الأرض الخضراء . البس هذا الحذاء وهذه السراويل وتلك الميزرة (الجاكتة) المصنوعة كلها من جلود عجل البحر ، وشد هذه الطاقية على رأسك جيداً ، فالبرد هنا شديد » .

ففعل أنور كما أمره الدب .

ولم يمض قليل من الزمن حتى نزلا إلى البر . ولم تكن الأرض خضراء مطلقاً ، بل كانت بيضاء . فالثلج والجليد كانا يغطيان الأرض حوله من كل جانب . أما الدب القطبى فقد ظهرت عليه أمارات الصحة والسرور ، حتى خيل لأنور أنه أصبح دباً آخر . فكان يستنشق الهواء البارد القارس بشغف شديد . وقد لمعت عيناه السمراوان ، وزاد بريق أنفه الأسود ، واشتد بياض فروته ، وازدادت سمكا .

عجل البحر

وقد أعجب أنور منظر الثلج الممتد تحت قدميه ، وجبال الجليد الطافية فى البحر . ولفرط سروره صفق بيديه ، وصاح قائلا : « ما أبدع ذلك » !

فرد عليه الدب قائلا : « إنه بديع حقا ! والآن أتركك ، لأنى سأذهب إلى زوجى لأودعها ، ذلك لأن الشتاء ، كما ترى ، قد بدأ ، وسوف تدفن زوجى نفسها فى

الثلجِ ، وتبقَى فيه إلى أنْ يَأْتِيَ فصلُ الرّبيعِ . وهيَ تَقْضِي هذه المُدَّةَ فى النومِ أو فى العنايةِ بطِفْلِها ، من غيرِ أنْ تأْكُلَ شيئاً مُطلقاً » .

فَسَأَلَ أنورُ : « وماذا تفعلُ أنْتَ » ؟

الدُّبُّ : « أتجَوَّلُ مِنْ مكانٍ إلى آخرَ على حافَّةِ الجَليدِ ، لأَصْطَادَ عِجْلَ البحرِ . وإذا ساعَدَنى الحظُّ أعْثُرُ على جُثَّةِ حُوتٍ ميِّتٍ . وعِنْدَئِذٍ أَسْتَمْتِعُ بأَكْلَةٍ لذيذةٍ حقًّا » .

أنورُ : « وَلكِنْ إذا كُنْتَ ستَتْرُكُنى الآنَ لِتُوَدِّعَ زَوْجَكَ ، فَمَنْ سيُعْنَى بأمرى هنا ؟ ألا تَسْتَطيعُ أنْ تَبْقَى معى قليلاً » ؟

الدُّبُّ : « ولا دَقيقةً واحدةً ! ! إنى أرَى بعضَ « الإسكيمو » قادِمِينَ بكلابِهِمْ . فإذا رَأَوْنى طَارَدُونى وحاوَلُوا قَتْلِى . فالوِدَاعَ ، الوِدَاعَ » ! !

وفى لحظةٍ قصيرةٍ قفزَ الدُّبُّ إلى الماءِ بَيْنَ الجَليدِ وَسَبَحَ فيهِ بِسُرْعَةٍ . واستَمَرَّ أنورُ يُراقِبُهُ حتَّى اختَفَى وَسْطَ البياضِ الناصِعِ البرَّاقِ . وَكانَ هذا آخِرَ عَهْدِه بذَاكَ الصديقِ .

وهُنَا وَقَفَ أنورُ وَحيداً خائفاً ، لأنَّ كلَّ ما يَرَاهُ كانَ غريباً عليه : فالأرضُ بيضاءُ ، وَالهواءُ ساكنٌ ، والسَّماءُ تَرْقُصُ فيها خطوطٌ طويلةٌ من الضَّوءِ الأخضرِ وَالذهبىِّ والوردىِّ وَالبرتقالىِّ .

وبعدَ قليلٍ سَمِعَ أنورُ أصواتاً خَلْفَهُ ، فالْتَفَتَ ورَاءَهُ وَرَأَى صِبيةً يَلْعَبُونَ خارِجَ البُيوتِ . وكانَ بعضُ تِلكَ البيوتِ مَبْنِيًّا من خشبٍ ، لابُدَّ أنْ يَكُونَ قَدجِيءَ به من بلادٍ أُخرَى . إذْ لَيْسَ فى الأرضِ الخضراءِ أشجارٌ كبيرةٌ مُطلقاً . والبعضُ الآخَرُ كانَ يَبْدُو كأنَّه قِصَاعٌ (سلطانيَّاتٌ) كبيرةٌ مقلوبَةٌ ، مَبْنِيَّةٌ من الحَجَرِ والأعشابِ .

وكانَ الصِّبْيَةُ جميعاً يَلْبَسُونَ ملابسَ واحدةً ، لافَرْقَ بينَ الأولادِ والبناتِ . إلاَّ أنَّ البناتِ كُنَّ يَلْبَسْنَ مناطِقَ وأطواقاً جميلةً من الخَرَزِ .